

فتح القدير

قوله : 30 - { وقالت اليهود عزير ابن ا } كلام مبتدأ لبيان شرك أهل الكتابين وعزير مبتدأ وابن ا خبره وقد قرأ عاصم والكسائي { عزير } بالتنوين وقرأ الباكون بترك التنوين لاجتماع العجمة والعلمية فيه ومن قرأ بالتنوين فقد جعله عربيا وقيل إن سقوط التنوين ليس لكونه ممتنعا بل لاجتماع الساكنين ومنه قراءة من قرأ : { قل هو ا } أحد * ا الصمد { قال أبو علي الفارسي وهو كثير في الشعر وأنشد ابن جرير الطبري : . (لتجديني بالأمير برا ... وبالقناة لامرا مكرا) . (إذا غطيت السلمي فرا) .

وظاهر قوله : { وقالت اليهود } إن هذه المقالة لجميعهم وقيل : هو لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص لأنه لم يقل ذلك إلا البعض منهم وقال النقاش : لم يبق يهودي يقولها ؟ بل قد انقرضوا وقيل : إنه قال ذلك للنبي A جماعة منهم فنزلت الآية متضمنة لحكاية ذلك عن اليهود لأن قول بعضهم لازم لجميعهم قوله : { وقالت النصارى المسيح ابن ا } قالوا هذا لما رأوا من إحيائه الموتى مع كونه من غير أب فكان ذلك سببا لهذه المقالة والأولى : أن يقال : إنهم قالوا هذه المقالة لكون في الإنجيل وصفه تارة بابن ا وتارة بابن الإنسان كما رأينا ذلك في مواضع متعددة من الإنجيل ولم يفهموا أن ذلك لقصد التشريف والتكريم أو لم يظهر لهم أن ذلك من تحريف سلفهم لغرض من الأغراض الفاسدة قيل : وهذه المقالة إنما هي لبعض النصارى لا لكلهم قوله : { ذلك قولهم بأفواههم } الإشارة إلى ما صدر عنهم من هذه المقالة الباطلة ووجه قولهم بأفواههم مع العلم بأن القول لا يكون إلا الفم بأن هذا القول لما كان ساذجا ليس فيه بيان ولا عضده برهان كان مجرد دعوى لا معنى تحتها فارغة صادرة عنهم صدور المهملات التي ليس فيها إلا كونها خارجة من الأفواه غير مفيدة لفائدة يعتد بها وقيل : إن ذكر الأفواه لقصد التأكيد كما في كتبت بيدي ومشيت برجلي ومنه قوله تعالى : { يكتبون الكتاب بأيديهم } وقوله : { ولا طائر يطير بجناحيه } وقال بعض أهل العلم : إن ا سبحانه لم يذكر قولا مقرونا بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولا زورا كقوله : { يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم } وقوله : { كبرت كلمة تخرج من أفواههم } وقوله : { يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم } قوله : { يضاهئون قول الذين كفروا } المضاهاة : المشابهة قيل : ومنه قول العرب امرأة ضهياء وهي التي لا تحيض لأنها شابهت الرجال قال أبو علي الفارسي : من قال { يضاهئون } مأخوذ من قولهم امرأة ضهياء فقوله خطأ لأن الهمزة في ضاهأ أصلية وفي ضهياء زائدة كحمراء وأصله يضاهئون وامرأة ضهياء ومعنى مضاهاتهم لقول الذين

كفروا فيه أقوال لأهل العلم : الأول : أنهم شابهوا بهذه المقالة عبدة الأوثان في قولهم
واللات والعزى ومناة إنا القول الثاني : أنهم شابهوا أسلافهم القائلين بأن عزير ابن
إنا وأن المسيح ابن إنا قوله : { قاتلهم إنا } دعاء عليهم بالهلاك لأن من قاتله إنا هلك وقيل
: هو تعجب من شناعة قولهم وقيل معنى قاتلهم إنا : لعنهم إنا ومنه قول أبان بن ثعلب : .
(قاتلها إنا تلحاني وقد علمت ... أني لنفسي إفسادي وإصلاح) .
وحكى النقاش أن أصل (قاتل إنا) : الدعاء ثم كثر في استعمالهم حتى قالوه على التعجب
في الخير والشر وهم لا يريدون الدعاء وأنشد الأصمعي : .
(يا قاتل إنا ليلى كيف تعجبنى ... وأخبر الناس أني لا أباليها) .
{ أنى يؤفكون } أي كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل